الفصل الأول

تاريخ الإقليم في العهد الراشدي

(١٧ – ٤٠ هـ / ٦٣٩ – ٦٦٠م)

obeikandl.com

عهد عمر بن الخطاب (١٣ – ٢٣ هـ / ٦٣٤ – ٦٤٤ م) :

نجح العرب في إخضاع شبه الجزيرة العربية لسيطرتهم والاستيلاء على ممتلكات الإمبراطورية الفارسية بعد عدة معارك انتصر فيها المسلمون ، والانتصارات التي حققها المسلمون في الشام وسورية وفلسطين .

وفي الحقيقة فإن انتصارات المسلمين في معركة اليرموك ١٣هـ / ٦٣٤م والقادسية ١٥هـ / ٦٣٦ م (١) ترتب عليها أن بدأ سكان إقليم جنوب القوقاز يشعرون بدبيب الفتوح الإسلامية تطرق أبوابهم فتوقعوا مصيرهم المحتوم .

وقد حاول القوقازيين تعطيل مشروع الفتح الإسلامي لبلادهم بكل ما أوتوا من قوة وإرادة ، فقدموا كل مرتخص وغال في سبيل تحقيق هذه الغاية ، وكانت البداية هي مشاركة الفرس والبيزنطيين الحرب ضد القوات الإسلامية في معركة القادسية ١٥هـ / ٦٣٦م حيث شارك أربعة آلاف من الأرمن مع الفرس . (٢)

واشترك الأرمن بعدد أكبر في معركة اليرموك ١٣هـ / ٦٣٤م ، فقد وقفوا إلي جوار بيزنطة بجيش مكون من اثني عشر ألفاً من الأرمن ، وبالرغم من ذلك فقد استطاع المسلمون أن يوقعوا الهزيمة بهذه الجموع (٣) .

---

(١) اليرموك والقادسية : كانتا من المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام ، وكانت اليرموك في عهد أبو بكر الصديق بقيادة خالد بن الوليد ، والقادسية كانت في عهد عمر بن الخطاب بقيادة سعد بن أبي وقاص – الخضري – تاريخ الأمم – جـ١ – بيروت – دار المعرفة – ص ٧٦ – ٧٧ ، ١٩٠ .

(٢) اسدرستم : الروم في سياستهم وحضارتهم وثقافتهم ودينهم وصلاتهم بالعرب – الجزء الأول – بيروت – دار المكشوف – ١٩٥٥م ، ص ٢٤٤ ؛ جون باجوت : الفتوحات العربية الكبرى – تعريب خيري حماد – بدون بيانات – ص ٢٩٦ .

grousset :- op. cit . P. 292 ; Philip Hitti : Ahistory of Arab – London – 1951 – P. 152 .

(3) Sir wiliam muir :- The caliphat – edinburga – 1952 – P. 128 , London , grousset :- op. cit . P.296' Hitti :- Ahistory of Arabe. P. 152' Haurt :- Histoire des Arabes tome 1 – P. 235 .

وبالرغم من هذيمة البيزنطيين وحلفاؤهم الأرمن في معركة اليرموك إلا أنهم لم ييأسوا ، وأعادوا الكرة من جديد ، وأعادوا تجميع صفوفهم ، ولكن بأعداد أكبر وحلفاء جدد ، فقد تجمعت القوات البيزنطية يساندها جيش من الأرمن والأعراب المتنصريين لمواجهة تقدم القوات الإسلامية المتوجهة نحو جنوب القوقاز بقيادة عياض بن غنم (١) وولكن . وكعادة الفتوحات الإسلامية في صدرها الأول . تمكن المسلمون من هزيمة هذه الجموع (٢) .

وكانت بداية الفتوح الإسلامية لمناطق جنوب القوقاز عام ١٧هـ / ٦٣٩م ، حينما قدم المغيرة بن شعبة (٣) الكوفة . وكانت مقر القوات الإسلامية المتوجهة نحة

---

(١) عياض بن غنم بن زهير بن شداد بن ربيعة بن هلال بن غنم ، كان شريفاً وكان على يديه فتح الجزيرة وهو أول من جاز الدرب إلي الروم ، وهو من شجعان الصحابة وغزاتهم ، أسلم قبيل صلح الحديبية ، وكان يقال له زاد الركب لكرمه ، سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد الأمراء الخمسة يوم اليرموك ، وذكره ابن الرقيات من أشراف مكة
وتوفى سنة ثلاثين من الهجرة . عنه انظر
الذهبي : سير أعلام النبلاء – الجزء الثاني – الطبعة الثالثة – بيروت – مطبعة الرسالة –١٩٨٥ م – ص ٣٥٤ ؛ ابن عبد البر :- الاستيعاب في معرفي الأصحاب : القسم الثالث – تحقيق على محمد البجاوي – القاهرة – مكتبة النهضة – ص ٢٣٤ ؛ الزبيري :- نسب قريش – القاهرة – دار المعارف – ١٩٥١م – ص ٤٤٧ .

(٢) الواقدى : فتوح الشام – جـ٢ – بدون بيانات – ص ١٨ – ١٩ ؛ كارل بروكلمان :- تاريخ الشعوب الإسلامية – تعريب بثينة فارس / منير بعلبكي – الطبعة الأولي – بيروت – دار العلم – ١٩٤٨ م – ص ١١٣ ؛ حسين زكي :- تاريخ الأمم الشرقية – ص ٣٦ .

(٣) وهو المغيرة بن شعبة بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف ، وأمه أسماء بنت أفقم ويكني أبا عبد الله ويقال له مغيرة الرأي ، وأول مشاهدة الحديبية ، ولاه عمر البصرة والكوفة فعزله عثمان وولاه معاوية الكوفة – عنه انظر ابن سعد : الطبقات – جـ٤ – طبعة ليدن – ص ٢٨٤ – ٢٨٥ ؛ فلهوزن :- تاريخ الدولة العربية – نقلها إلي العربية محمد عبد الهادي – القاهرة – لجنة التأليف – ص ١٠٩ .

القوقاز _ والياً عليها من قبل عمر بن الخطاب ومعه كتاب إلي حذيفة بن اليمان (٤) بالمسير إلي أذربيجان لفتحها ، فسار إليها من نهاوند (٢١ هـ - ٦٤١ م) [١]

---

(٤) وهو حذيفة بن اليمان بن حسل بن جابروان ، وقيل ذلك لأنه أصاب دماً في قومه ، فهرب إلي المدينة وحالف بني عبد الأشهل من الأنصار فأسموه اليمان ، لأنه حالف الأنصار وهو من اليمن ، روي عنه ابنه عبد الله وعمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وغيرهم ، وهاجر إلي النبي صلي الله عليه وسلم فخيره بين الهجرة والنصرة فاختار

النصرة ، وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم أحداً وقتل أبوه بها ، وحذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين لم يعلمهم أحداً غيره ، وفي عهد عمر سأله أفي عمالي أحداً من المنافقين فأشار إليه أن نعم فعز له عمر كأنه عرفه ، وكان كلما مات أحد فإن شهد حذيفة الجنازة حضرها عمر وشهدها ، وكان على يديه فتح همدان والدينور والري ، وشهد فتح الجزيرة ، وعاش في نصيبين ، وتزوج بها وكان دائماً يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الفتن والشر حتى يتجنبها ، كما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلي معسكر الكفار يوم الأحزاب ليأتيه بأخبارهم ، ولم يشهد بدراً لأن الكفار كانوا قد أخذوا عليه موثقاً ألا يقاتلهم ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أيقاتل أم لا فقال :- بلي نفي لهم بعدهم ونستعين بالله عليهم - وعن حذيفة انظر - الذهبي :- سير أعلام النبلاء - جـ٢ ص ٣٦١ ؛ الدينوري :- المعارف - ط ١ - القاهرة - المطبعة الإسلامية - ١٩٣٤م - ص ١١٤ ؛ البرهان فوزي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - جـ١ - ط ٥ - بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٩٨٥م - ص ١٦٩ ؛ ابن الجوزي : صفة الصفوة جـ١ - ط١ - الهند - ص ٢٥٠ ؛ الهروي : غريب الحديث - جـ٤ - الهند - حيدر أباد - ص ١١٧ ؛ أبو نعيم :- حلية الأولياء - جـ١ - بيروت - دار الفكر العربي - ص ٢٧٩ ؛ النووي : تهذيب الأسماء - ص ١١٩ ؛ خالد محمد خالد : رجال حول الرسول - القاهرة - مطبعة دار المقطم - ١٩٩٤م - ص ١٩٧ .

(١) نهاوند :- كان يقود المسلمون في هذه المعركة النعمان بن مقرن وكان أول شهيد فيها فتولى القيادة حذيفة بن اليمان وكانت تسمي فتح الفتوح - السيوطي :- تاريخ الخلفاء - تحقيق محمد محي الدين - ط ١ - القاهرة - مطبعة السعادة - ص ١٢٣ ؛ القلقشندي :- مآثر الإناقة - جـ١ - تحقيق عبد الستار أحمد - بيروت - مطبعة عالم الكتب - ص ٩١ ؛ عطية الله :- حوليات الإسلام - القاهرة - مكتبة التراث - ص ٢٦ .

فسار بقواته حتى اقترب من مدينة عاصمتها أردبيل [٢] وبها المرزبان ، وكان قد استعد لمواجهة القوات الإسلامية ، فقام بجمع مجموعة كبيرة من المقاتلين من المدن المجاورة من الشيز والميانج وغيرها [٣] من المدن في أذربيجان واقتتلا قتالاً شديداً استمر أياماً وكان النصر حليف المسلمين ، ثم إن المرزبان لم يجد بدا من النزول علي حكم المسلمين وجنح إلي الصلح ، فصالح حذيفة بن اليمان على جميع أذربيجان ، على أن يدفع جزية سنوية مقدارها ثمانمائة ألف درهم على أن لا يقتل من الآذريين أحداً ولا يسبيه ولا يهدم بيت نار ولا يعرض لأكراد الشيشجان والبلاشجان [١] وسبلان ولا يمنع أهل الشيز من إقامة شعائرهم الدينية والاحتفال بأعيادهم [٢] .

---

[٢] أردبيل :- وهي عاصمة أذربيجان وتقع شمال شرق أذربيجان وكانت قد بناها أردبيل بن لنطي ونسبت إليه ثم بناها فيروز قباذ – الكرماني :- أخبار الدول ص ٤٢١ ؛ الحموي :- معجم – جـ١ – ص ١٨٢ – ١٨٣ ؛ القلقشندي :- صبح – جـ٥ – ص ٢٧ .

[٣] الديار بكري :- تاريخ الخميس – جـ٢ – بيروت – مؤسسة شعبان – ١٩٨٤ م – ص ٢٤٣ ومخطوط بالهيئة القومية تحت أرقام ١٠٧٩ – ١٠٧١ – ١٧٠١١٤ تاريخ – ورقة ٢٠٩ ؛ الشهابي : تاريخ الغرر – جـ١ – القاهرة – مطبعة السلام – ١٩٠٠م – ص ٣٤ ؛ دحلان : الفتوحات الإسلامية – جـ١ – القاهرة – المطبعة الحسينية – ص ٤٢ .

– الشيز مدينة أذربيجان وكانت تتميز بوجود بيوت النار الكثيرة التي كانت لها أهمية كبيرة في أذربيجان وبها معدن الذهب والفضة كما أن الميانج بلدة في أذربيجان – انظر الكرماني :- أخبار الدول وآثار الأول – ص ٤٥٨ ؛ الحموي : معجم البلدان – جـ٨ – ص ٢١٨ ؛ البغدادي :- مراصد الإطلاع – جـ٢ – ص ٣٤٤ .

[١] الشيشجان والبلاشجان :- وهما من أقاليم أران ، وكان الفرس يسيطرون عليهما ثم استولي عليهما الخزر حتى سيطر المسلمون على الإقليم ، وكانت هذه الأقاليم قد بني فيها كسري أنوشروان عدداً من القلاع ، وكان أهمها : قلعة الكلاب وقدمه وشهبوش ، وأسكن كسري هذه القلاع قوماً من الشياشيين ذوي البأس والنجدة ، وبني الحائط بين الشيشجان والخزر بالصخر والرصاص وجعل عرضه ثلاثمائة ذراع حتى ألحقه برؤوس الجبال ، ثم قاده في البحر وجعل عليه أبواب حديد ، فكان يحرسه مائة رجل بعد أن كان يحتاج إلي خمسين ألفاً من الرجال لحراسته .

ثم لم يلبث عمر بن الخطاب أن قام بعزل حذيفة بن اليمان عن أذربيجان وولاها عتبة بن فرقد ، [٣] _ الذي كان في الجيش الفاتح لأذربيجان . فدخلها ، وضبط أمورها وجعل مركز قيادة البلاد في مدينة أردبيل العاصمة [١] ، وقد ظلت أذربيجان على العهد مع المسلمين ، ولكن كانت قد انتقضت عليه بعض النواحي من أذربيجان

اليعقوبي :- تاريخ اليعقوبي – جـ١ – ص ١٧٨ ؛ ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان – ص ٢٨٨ ؛ ابن رسته : الأعلاق النفسية – ص ١٣٧ .

[٢] السيوطي : تاريخ الخلفاء – ص ١٢٣ ؛ القلقشندي :- مآثر – جـ١ ص ٩١ ؛ الشهابي :- تاريخ الغرر – جـ١ – ص ٣٤ ؛ كرايستنسن :- إيران في عهد الساسانيين – ص ٤٨٧ ؛ الديوه حي : تاريخ الموصل – ط١ – بغداد – المطبعة الوطنية – ص ٣٥ .

– سبلان جبل بأذربيجان عالي ومرتفع بالقرب من أردبيل وتكاد لا تفارقه الثلوج طوال العام – انظر – الكرماني : أخبار – ص ٤٥٨ ؛ الحموي : معجم البلدان – جـ٨ – ص ٢١٨ ؛ البغدادي : مراصد – جـ٢ – ص ٣٤٤ ؛ ابن الفقية : مختصر البلدان – ص ٢٨٥ .

[٣] عتبه بن فرقد بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة بن أسلم السلمي ، له صحبة ورواية ، غزا مع النبي صلي الله عليه وسلم غزوتين ، وشهد خيبر معه ، وقالت أم عاصم زوجة عتبة بن فرقد : كنا عند عتبة ثلاث نسوة ، وإن كل واحدة منا تريد أن تكون أطيب ريحاً من صاحبتيها ، وكان إذا خرج كانت له رائحة طيبة دون أن يتطيب ، فلما سألته عن ذلك قال لها : أنه أصابه ذات مرة مرض الشري – مرض طفح جلدي – على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم فشكا ذلك إليه فأمره فقعد بين يديه ، فتفل في يديه الشريفة ومسح بها بطنه وظهره فزال المرض عن جسده ، وعبق الطيب في جسده ولم يتطيب ، وكانت فتوح أذربيجان على يديه ومات بالكوفة ، عن عتبة ابن فرقد انظر = ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب – القسم الثالث – ص ١٢٩ .

ابن سعد : الطبقات الكبرى – جـ٢ – طبعة ليدن – مطبعة بريل – ١٣٢٢ هـ – ص ١٨ ؛ العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة – جـ٤ – تحقيق على محمد البجاوي – القاهرة – دار نهضة مصر – ص ٤٣٩ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة – جـ٣ – تحقيق محمد إبراهيم البنا – محمد أحمد عاشور – القاهرة – دار الطباعة والنشر – ص ٥٦٧ .

[١] البلاذري : فتوح البلدان – ص ٣٢٣ ؛ أحمد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية – الجزء الأول – ص ١٠٧ ؛ أحمد محمود : الإسلام في أسيا الوسطى ما بين الفتحين العربي والتركي – القاهرة – الهيئة العامة للكتاب – ١٩٧٢ م – ص ٣ .

فحاربها عتبة بن فرقد ، وتغلب عليها وطلبوا الأمان فأعاد تجديد الصلح السابق معهم وأعطاهم أمانا جديدة صلحاً جديدا ، [٢] نص على :

١- أن يعطوا الأمان عن أنفسهم وشرائعهم ومللهم ، ويسمح لهم بحرية العبادة .

٢- تفرض الجزية على القادر البالغ العاقل منهم ، ويعفي من ذلك الصبي والمرأة والسائل والمتعبد المتفرغ للعبادة .

٣- على أهل أذربيجان استضافة وقري [٣] المسلم يومه وليلته ، من طعام أهل الكتاب وإرشاده ودلالته .

٤- تسير هذه الشروط على أهل أذربيجان ومن يقيم معهم في بلادهم . [٤]

وبالرغم من عقد الاتفاق سنة ١٨ هـ / ٦٣٩ م ، إلا أن الآذريين . شأنهم شأن القوقازيين . كانوا دائمي التمرد والخروج علي الطاعة ، فقد عادوا للانتفاض مرة ثانية في نهاية عهد عمر بن الخطاب حيث تجمعوا وأعلنوا الثورة ،وهددوا الحاميات الإسلامية الموجودة في أذربيجان ، فتصدي لهم القائد العربي نعيم من مقرن [١] بحزم

---

[٢] الدميري :- حياة الحيوان الكبرى – الجزء الأول – القاهرة – المكتبة التجارية الكبرى – ص ٥١ ؛ البلاذري :- فتوح لجنة البلدان ص ٣٢٣ ؛ محمد حميد الله الحيدر ابادي : مجموعة الوثائق السياسية – الجزء الرابع – القاهرة – مطبعة لجنة التأليف والترجمة – ص ١٤٨ ؛ حسن أحمد محمود : المرجع السابق – ص ٣ .

[٣] القرى :- هو ما يقدم إلي الضيف من طعام وغيره – المعجم الوجيز – جـ١ – ص – ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ – ص ٥٠٠ .

[٤] البلاذري : فتوح البلدان – ص ٣٢٣ ؛ الدميري : المصدر السابق – جـ١ – ص ٥١ ؛ الدبش : تاريخ سورية – جـ٥ – ص ١٣ ؛ دحلان :- المرجع السابق – جـ١ – ص ١٠٧ ؛ الحيدرابادي :- المرجع السابق – جـ٤ – ص ١٤٨ .

[١] نعيم بن مقرن بن عابد المرني بن كعب بن عبد ثور بن هدمة بن لاطم ، أخو النعمان بن مقرن ، وخلفه بعد مقتله في نهاوند فأخذ الراية وأعطاها لحذيفة بن اليمان ، وكان هو وأخوه من جله الصحابة ، ابن عبد البر :- الاستيعاب – جـ٣ – ص ٥٢٨ ؛ العسقلاني :- الإصابة – جـ٣ – ص ٥٣٩ .

وعزم شديد ، وتمكن من تفريق هذه الجموع وإخماد ثورتها بعد هزيمتها في معركة يصفها المؤرخون بأنها كانت حامية كانت حامية الوطيس [٢] وكتب نعيم بانتصاره على الأذريين إلي عمر [٣] ، وأرسل بالأخماس إليه مع سماك بن خرشة [٤] .

وكانت فتوح الإسلام لأرمينية سنة ١٨ هـ / ٦٤٠ م حيث شن المسلمون عدة هجمات على أرمينية بقيادة عياض بن عنم الذي حاصر مدينة دبيل [٥] عاصمة البلاد ، ولم يكن بها حامية تدافع عنها لأن فرق الجيش الأرمني بعد معركتي

---

[٢] الطبري : تاريخ الأمم – جـ٤ – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة الخامسة – القاهرة – دار المعارف – ص ١٤٩ ؛ الواقدي : فتوح الشام – جـ٢ – ص ١٧٥ ؛ البلاذري : فتوح البلدان – ص ٣٢٣ ؛ محمد رشيد رضا : الفاروق عمر بن الخطاب – الطبعة الثالثة – بيروت – مطبعة دار الطتب العلمية – ١٩٨٣م – ص ٣٠٧ .

[٣] خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط – تحقيق أكرم العمري – الرياض – دار طيبة للتوزيع ١٩٨٥م – ص ١٤٧ ؛ ابن الأثير : الكامل – جـ٢ – ص ٤٣٧ ؛ الطبري : تاريخ – جـ٤ – ص ١٤٩ ؛ الواقدي : فتوح الشام – جـ٢ – ص ١٧٥ ؛ البلاذري : فتوح البلدان – ص ٣٢٢ ؛ محمد رشيد رضا : المرجع السابق – ص ٣٠٧ .

[٤] سماك بن خرشة : وهو غير أبي دجانة ، وكان سماك بن خرمة وسماك بن عبيد العبسي وسماك بن خرشة وليس أبي دجانة أول من ولي أرض همدان ، وقدم هؤلاء الثلاثة في وفد أهل الكوفة بالأخماس وانتسبوا إليه ، فقال عمر :– اللهم بارك فيهم وانصر بهم الإسلام .عنه انظر :

الطبري :– المصدر السابق – جـ٤ – ص ١٤٩ ؛ العسقلاني : الإصابة – جـ٢ – ص ٧٥ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب – جـ٢ – ص ٨٢ .

[٥] البلاذري : فتوح البلدان – ص ١٩٧ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام – جـ٣ – ص ١٣٤ ؛ الحموي : معجم البلدان – جـ٤ – ص ٣٥ ؛ ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان – ص ٢٩٢ ؛ عماد الدين المؤيد : تقويم البلدان – ص ٣٨٧ .

– ودبيل هي عاصمة أرمينية ، وكانت مقر الحاكم العربي ، وبها دار الإمارة ، وتنطق في المصادر الغربية دوين والعربية دبيل انظر : الحموي : معجم البلدان – جـ١ – ص ٢٠٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق – جـ٢ – ٣٣٧ .

القادسية واليرموك كانت قد فرت من وجه القوات الإسلامية إلي الريف الأرمني ، فنجح المسلمون في الاستيلاء على المدينة بسهولة كبيرة .

ولما فشل القائد الأرمني تيودور الرشتوني [1] في مجابهة القوات الإسلامية والتصدي لها ، وتركها تدخل دبيل ، فحاول مباغتتهم في طريق عودتهم من دبيل إلي المقر الرئيسي في أردبيل ،فكمن لهم في البراري والغياض وأراد أن يأخذهم علي حين غرة ، ولكنه فشل وعاد خائباً ، بعد أن أوقعت به القوات الإسلامية الهزيمة النكراء وأجبرته علي الفرار من أمامها [2] .

ولكن الملاحظ أن المسلمين لم يكونوا يستقرون في البلدان المفتوحة في مناطق القوقاز ، ربما لصعوبة الطقس القارص الذي يصعب عليهم التكيف معه ولكون هذه البلاد نائية عن مستودعات الإمدادات في الكوفة والبصرة ، واكتفوا في بداية الفتوحات بترك الحاميات العسكرية والعودة إلي مراكز التجمع في أردبيل ، مما جعل السيطرة

---

[1] كانت قبيلة رشتوني مع قبيلة جمسرجان وماسيكونيان وسيوني وباجراتوني وأرزوني تتحكم وتسيطر على أملاك البلاد فيما بينهما ، كما أنها كانت في حالة صراع مستمر على السلطة ، وقد اختلفت أصول هذه الأسر مثل جمسرجان البيزنطية ، والبجراطيون اليهودية ، والماسيكونيان ذات الأصول الصينية الأسيوية ، والرشتونية ذات الأصول الفارسية ، وأسرة أرزورني ذات الأصول الآشورية ، وباختلاف أعراقهم اختلفت ميولهم السياسية للقوي المحيطة بهم ، فأسره جمسرجان كانت تميل لبيزنطة ، وكانت ماسيكونيان والبجراطيون كانوا يميلون للفرس ، وكان الرشتونيين يميلون للفرس ومن بعدهم للعرب ، انظر الأصبهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء – ص ٤٣ ؛ دونالد ولبر : إيران ماضيها وحاضرها – ص ٢٦ ، ٢٨ ، ٤١ ؛ Bemjamin :- op. cit . P. ti :- 220 Hit Ahistory of Syria . P. 520.

[2] الذهبي : تاريخ الإسلام – جـ٣ – ص ١٣٤ ؛ البلخي : البدء والتاريخ – جـ٥ – ص ١٣٢ ؛ البلاذري : فتوح البلدان – ص ١٩٧ ؛ صابر دياب : المرجع السابق – ص ١٣ – ، سيديو : خلاصة تاريخ العرب – ترجمة على مبارك – القاهرة – مطبعة محمد مصطفي – ص ٣ ؛ دائرة المعارف البستاني – جـ١٠ – ص ٣٠٣ . grousset :- op. cit . P. 298 .

الإسلامية علي تلك المناطق في موضع ضعف ، استغله القوقازيين في الثورة وتهديد الوجود والسيطرة الإسلامية عليها.

وكان الذي حدث أن استغل الأرمن تراجع القوات الإسلامية عن بلادهم ، وشعروا بضعف الحاميات العسكرية وقلة عددها ، فثاروا وهددوا تلك الحاميات ، مما أجبر الخلافة الإسلامية علي سرعة أرسال حملة عسكرية إليهم في عام ٢١ هـ / ٦٤٢ م ، وقاد هذه الحملة حبيب بن مسلمة (٣)وسلمان بن ربيعة الباهلي (١) .

---

(٣) حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائل بن محارب بن فهر بن مالك الفهري ، يقال له حبيب الروم لكثرة دخوله إليهم ، له صحبة ، وقيل إنه مستجاب الدعوة ، وحينما حوصر عثمان بعثة معاوية بن أبي سفيان إليه ومات رسول الله صلي الله عليه وسلم وعنده ١٢ عام ، ولم يغز مع النبي صلي الله عليه وسلم غزوة واحدة عنه انظر – ابن الأثير :- أسد الغابة – جـ١ – ص ٤٩ ؛ الزبيري : نسب قريش – ص ٤٤٨ ؛ المودودي :- الخلافة والملك – تعريب أحمد إدريس – الكويت – الطبعة الأولي – مطبعة دار القلم – ١٩٧٨ م – ص ٥٨ .

(١) سلمان بن ربيعة بن يزيد بن ثعلبة بنم قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقيل له صحبه ، وشهد فتوح الشام مع أبي أمامة الباهلي ، استقضاه عمر على قضاء الكوفة فظل أربعين يوماً لا يختصم إليه أحد ، وكان يل لعمر الخيل ولذلك سمي سلمان الخيل ، وكان عمر أعد في كل مصر خيلاً كثيفة بها ، وكان يتولى خيول الكوفة ، وغزا أذربيجان وبلنجر وأران والخزر وقتل ببلنجر عام ٢٨ هـ / ٦٤٨م ، روي عنه عدي بن عدي الضبي بن معبد وأبي وائل شقيق أبي سلمة وكان ثقة قليل الحديث . عنه انظر :

ابن الأثير : أسد الغابة – جـ٢ – ص ٤١٥ ؛ النووي : تهذيب الأسماء – ص ٢٩٤ ؛ القرطبي : التعريف في الأنساب والتنوية لذوي الأحساب – تحقيق سعيد عبد المقصود – القاهرة – دار الفنار – ص ٩٤ ؛ السيوطي : الوسائل في معرفة الأوائل – تحقيق إبراهيم العدوى – القاهرة – مكتبة خانجي – ص ١٠٨ ؛ السمعاني : الأنساب – جـ٢ – ص ٦٧ ؛ العسقلاني : تقريب التهذيب – بدون بيانات – ص ١٠٨ ؛ عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب – الجزء الأول – دمشق – المكتبة الهاشمية – ١٩٤٩ م / ١٣٦٨ هـ – ص ٦٠ .

ووجد الجيش الإسلامي في هذه الحملة مقاومة شديدة من جانب الأرمن [٢] بعد أن قوي ضلعهم بالمساعدات التي قدمتها لهم بيزنطة ،فأعادوا تنظيم صفوفهم ، وجمعوا شتات أمرهم غير أن دوافع الدولة الإسلامية كانت أقوي في تنفيذ خطتها القاضية بفتح أرمينية ، وإحكام السيطرة عليها ، وفي ١٧ رمضان ٢٢ هـ / ١٠ أغسطس ٦٤٢م نجح سلمان بن ربيعة وحبيب بن مسلمة من إيقاع الهزيمة بجموع الأرمن وحلفائهم وأجبروهم علي الفرار إلي المزارع والأحراش [٣] .

ويرجع أول اتصال للدولة الإسلامية بأران في أواخر عهد عمر بن الخطاب وبالتحديد في سنة ٢٢ هـ /

٦٤٢ م حينما كلف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كلا من سراقة بن عمرو [١] وعبد الرحمن بن ربيعة [٢] بالمسير إلي شمال القوقاز وتحديدا إلي مدينة باب

---

[٢] الواقدي : فتوح الشام – جـ٢ – ص ١٧٥ – ١٧٦ ؛ السمعاني : المصدر السابق – جـ٢ – ص ٦٧ ؛ المودودي : المرجع السابق – ص ٨٥ ؛ مروان المدور :- المرجع السابق – ص ١٩٧ .

[٣] البلاذري : فتوح البلدان – ص ٢٣٤ ؛ تاريخ طائفة الأرمن – بدون بيانات – ص ١٦٤ ؛ أنطون خانجي – تاريخ طائفة الأرمن :- أورشليم القدس – دير الأباء الفرنسيسكان – ص ٨ .

grousset : op. cit. P. 299 .

[١] سراقة بن عمرو ولقبه ذا النور ، وذكره المؤرخون من الصحابة ولم ينسبوه ، وكان أحد الأمراء بالفتوح وكانوا لا يأمرون غير الصحابة ، ومات في أرمينية ، وكان عمر أقره على اتفاقه ولما مات استخلف عبد الرحمن بن ربيعة فأقر عمر بن الخطاب استخلافه . عنه انظر . العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة – جـ٣ – ص ٤١ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة – جـ٢ – ص ٣٣٠.

[٢] عبد الرحمن بن ربيعة بن يزيد الباهلي ، وكان يلقب هو الآخر ذا النور ، ولاه عمر قضاء الجيش الذي وجهه إلي القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص ، وعهد إليهم تقسيم الغنائم ثم ولاه الباب وقتال الترك والخزر ، واستمر في ولايته هذه إلي أن استشهد في بعض وقائعه – انظر .

القرطبي : التعريف في الأنساب لذوي الأحساب – ص ٩٤ ؛ الزركلي : الأعلام – جـ٢ – ص ٤٩٣ .

الأبواب المعروفة بالدربند ، [٣] وأمده عمر بن الخطاب بحبيب بن مسلمة عامله على الجزيرة ، وعلي مايبدو أن زعيم هذه المدينة كان عاقلا رأي أن المسلمين لا يقف في وجههم أحد ورأي ماجري لجيرانه من المدن والبلدان فاعتبر بغيره ، ولم يشأ أن يكون عبرة لغيره ، فطلب ملك أران من عبد الرحمن بن ربيعة أن يأتيه والإلتقاء معه للحديث والمشاورة ، فلما أتاه عبر له عما يكنه من سخط وكراهية للأرمن الذين كانوا يقيمون حول بلاده ، وأعلن عن نياته الطيبة تجاه المسلمين وطلب عقد الصلح مع المسلمين ، علي أن يعطوه بعض المميزات عن غيره ، وكانت هذه شروطه :

١ – أعطاهم المسلمون الأمان على أنفسهم وبيعهم وأموالهم وأنفسهم وديانتهم

٢ – أعفي عبد الرحمن أهل أران من الجزية بناء على طلب ملكهم لأنه كان يري فيها مهانة أمام السكان الأرمن أعداءه .وتمييزا له عن غيره .

٣ – أن يقدم أهل أران يد المساعدة للمسلمين في حروبهم ضد أعدائهم ويستجيبوا لكل أمر يراه الوالي المسلم صالحاً .

٤ – على أهل أران استضافة المسلم يوماً وليلة وإطعامه من طعام أهل الكتاب .

٥ – يسري هذا الاتفاق على السكان الأصليين من أران ومن أقام معهم من الأرمن [١] .

وبعد أن استقر المسلمون في أران وصفا لهم الأمر أخذ سراقة بن عمرو يرسل الحملات إلي مناطق شمال القوقاز من أجل الفتح أو الاستطلاع ، فوجه حبيب بن

---

[٣] باب الأبواب : وهي إحدى نواحي أران شمالها الشرقي على بحر الخزر وفي وسطها مرسي للسفن وكانت مساحتها ميلين في ميلين وكانت قد بناها كسري أنوشروان – عنها انظر – الحموى :– معجم البلدان – جـ٢ – ص ٩ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق – جـ٢ – ص ٣٣٩ ؛ الكرماني : أخبار الدول – ص ٤٣٥ ؛ البغدادي : مراصد الإطلاع – جـ١ – ص ٥٥ .

[١] الطبري : المصدر السابق – جـ٤ – ص ١٥٧ ؛ ابن سلام :– المصدر السابق – جـ٢ – ص ٢٠٨ ؛ جوناتوقه : تاريخ القوقاس – ص ٣٤ ؛ فايز اسكندر : الفتوحات الإسلامية الأرمينية – ص ٤٢ .

مسلمة إلي مدينة تفليس [٢] وبكير بن عبد الله إلي مدينة موقان ، [٣] وحذيفة بن أسيد إلي مناطق جبال اللان ، [٤] وسلمان بن ربيعة إلي شمال أران [٥]

ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن ، فقد توفي سراقة بن عمرو فتعطل المشروع بأكمله ، وبالرغم من أن عمر قد استخلف مكانه عبد الرحمن بن ربيعة على شمال القوقاز [٦] من أجل إنجاز ما كان قد بدأه سراقة بن عمرو ، إلا أن هذه الحملات لم تحقق شيئا إلا ماكان من نجاح بكير بن عبد الله من فتح موقان وعقد معهم صلحاً واتفاقاً في ٢١ هـ / ٦٤١م نص على :

١- أن يعطي أهل موقان الأمان على أنفسهم وشرائعهم ومللهم وأموالهم .

---

[٢] تفليس وهي مدينة بنواحي أران تقع على أحد فروع نهر المر بالقرب من بلاد الكرج ؛ اليعقوبي :- البلدان – ص ٣٦٣ ؛ الكرماني : أخبار – ص ٤٤١ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق – جـ٢ – ص ٣٤٠.

[٣] موقان مدينة ما بين أربيجان وأران تقع على مقربة من بحر الخزر ونهر الرس – أ،ظر – الحموي :- معجم البلدان – جـ٨ – ص ١٩٨ ؛ لي استرنج :- المرجع السابق – ص ٢٠٩ .

[٤] اللان : تقع شمال تفليس وهي مناطق واسعة تتاخم جبال القوقاس وهي تتكون من عدة ممالك . انظر الحموي : معجم – جـ١ – ص ٣٢٤ ؛ البغدادي : مراصد – جـ٣ – ص ٤٤ ؛ ابن الوردي : خريدة العجائب – ص ٨٢ .

[٥] الطبري :- المصدر السابق – جـ٤ – ص ٤١ ؛ ابن سلام : المصدر السابق – جـ٢ – ص ٢١٠ ؛ الحيدرابادي : المرجع السابق – جـ٤ – ص ٢٦١ .

[٦] العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة – جـ٣ – ص ٤١ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة – جـ٢ – ص ٣٠ ؛ القرطبي : التنوية – ص ٩٤ ؛ الزركلي : الأعلام – جـ٢ – ص ٤٩٣ .

– وأران تشترك بحدودها الجنوبية مع أذربيجان من الشرق وأرمينية من الغرب ، ويحيط بها شرقاً بحر قزوين وبلاد الخزر ، ومن الغرب البحر الأسود وبيزنطة ، وشمالاً فيجاوره اللان والأبخار وبلاد الصقالية .

انظر ابن الوردي : خريدة – ص ٧٩ ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان – ص ٣٨٦ ؛ القلقشندي : صبح الأعشي – جـ٥ – ص ٣ ؛ لي استرنج : المرجع السابق – ص ٢١١ .

٢- أن تفرض عليهم الجزية ديناراً على كل حالم قادر بالغ ، ومن لم يستطع نقداً دفع ما قيمته .

٣- دلالة ونصح المسلم واستضافته يوماً وليلة .

٤- إذا نقض أهل موقان هذا العهد فلا أمان لهم عند المسلمين .

٥- إذا هرب إلي أهل موقان بعض أعداء الدولة الإسلامية فعليهم أن يسلموهم إلي قادة المسلمين وإلا فهم متمالئون معهم [١] .

وبعد أن أقر عمر بن الخطاب استخلاف عبد الرحمن بن ربيعة على شمال القوقاز _ الباب (الدربند) . [٢] أمده بجيش كبير ، وأمره بفتح ماتبقي من شمال القوقاز وتحديدا غزو بلاد الخزر ، فأمتثل عبد الرحمن لأمر عمر وخرج بجموع جيشه قاصداً بلاد الخزر ، وقابل في الطريق حاكم أران الذي أسدي إلي عبد الرحمن نصيحة عن شدة وبأس هؤلاء الخزر في القتال ، [٣] وقال له : إنا لنرضي منهم دون هذا الباب – (وهي دلالة على مدي خوف سكان الإقليم من هؤلاء الخزر) – فرد عليه عبد الرحمن في عزة وأنفة : تا الله إن معنا أقواماً لو يأذن لهم أميرنا لبلغنا بهم الروم في ديارهم ، فقال له :- ومن هم قال : قم قوم صحبوا رسول الله صلي الله عليه وسلم ، دخلوا هذا الدين بنية ، وكانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية ، فازداد حياؤهم وتكرمهم ، فلا يزال دائماً النصر والأمر لهم حتى يغيرهم من يغلبهم حتى يلفتوا عن حالهم " !

---

[١] الطبري : المصدر السابق – جـ٤ – ص ١٥٧ ؛ ابن سلام : المصدر السابق – جـ٢ – ص ٢١٠ ؛ جوناتوفه : المرجع السابق – ص ٣٤ ؛ الحيدرابادي : المرجع السابق – جـ٤ – ٢٦١.

[٢] القرطبي . التعريف – ص ٩٤ ؛ العسقلاني : الإصابة – جـ٢ – ص ٣٣٠ ؛ أبو الحسن الصابئ : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء – تحقيق عبد الستار أحمد فرج – القاهرو – دار إحياء الكتب العربية – ص ٢٣٩ ؛ الزركلي :- الأعلام – جـ٢ – ص ٤٩٣ .

[٣] الطبري : المصدر السابق – جـ٤ – ص ١٨٥ ؛ ابن عساكر :- تاريخ دمشق – المجلد الأول – دمشق – المجمع العلمي – ص ١٧٨ ؛ أبو الحسن الصابئ : تحفة الأمراء – ص ٢٣٩ .

ولم يأبه عبد الرحمن للخوف الذي أبداه هذا الحاكم وتقدم بقواته باتجاه الخزر ، ونازلهم في عدة معارك خرج منها جميعاً منتصراً ، وتوغل في بلادهم ، واستولي علي عدد كبير من مدنهم الرئيسية ، وساقهم أمامه ، حتى وصلت خيوله مدينة البيضا [٤] .

وقد أظهر المسلمون في تلك المعارك شجاعة شديدة وبلغ من شدة بأس المسلمين في هذه المعارك أن قد سري الرعب في نفوس الخزر حتى شارع بينهم أن المسلمين لا يموتون ، ولا سبيل للأسلحة معهم ، وما تجرأوا عليهم إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت ، ولكن لم يستثمر المسلمون تلك الفتوحات بإقامة قواعد متقدمة في بلاد الخزر وسرعان ما عاد عبد الرحمن إلي جنوب القوقاز وإلي قواعدة الدائمة في أردبيل مكتفيا بما حققه من إنتصارات علي الخزر . [١] .

---

[٤] الطبري : المصدر السابق – جـ٤ – ص ١٥٨ ؛ الصابئ – المصدر السابق – ص ٢٣٩ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق – ص ١٨ ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر – جـ٢ – ص ٥٧ ؛ الهامي : التوفيقات الإلهامية بمقارنة التواريخ الهجرية – ط١ – القاهرة – المطبعة الأميرية – ص ١١ ؛ دحلان : المرجع السابق – جـ١ – ص ١٠٨ ؛ محمد رشيد رضا : المرجع السابق – ص ٣١٢ .

– البلنجر والبيضا وترغوا : أشهر مدن الخزر وبلنجر هي عاصمة بلادهم وأكبر مدنهم وكانت البلنجر تدعي إتل عنها انظر : اليعقوبي : تاريخ – جـ١ – ص ١٧٨ ؛ الحموي : معجم البلدان – جـ٢ – ص ١٢ ؛ ابن النديم : الفهرست – ص ١٩ ؛ البكري الأندلسي : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع – جـ١ .

[١] ابن الأثير : الكامل – جـ٢ – ص ٤٣١ ؛ ابن العبري :– تاريخ ابن العبري – ص ى٥٧ ؛ ابن الوردي : تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) تحقيق أحمد رفعت البدراوي جـ٦ – ط١ – بيروت – دار المعرفة – ص ٢٢٦ ؛ دحلان : المرجع السابق – جـ١ – ص ١٠٨ ؛ محمد رشيد رضا : المرجع السابق – ص ٤١٢ ؛ الخضري : المرجع السابق – جـ١ – ص ٣٢٦ ؛ رفيق العظم : أشهر مشاهير الإسلام – ط٢ – القاهرة – دار الفكر العربي – ص ٦٦٤ ؛ عبد الوهاب النجار : تاريخ الإسلام – القاهرة – المطبعة السلفية – ١٣٤٨ هـ – ص ١٩٧ .

وعلى ما يبدو أن حملات المسلمين على مناطق الجبال في أذربيجان لم تكن فتحاً منظماً بالمعني الكامل ، إذ أن هذه القوات ما لبثت أن عادت إلي مراكزها الرئيسية في أردبيل ، بعد أن ارتضوا من حكام هذه المناطق بالجزية والاعتراف بسيادتهم على هذه المناطق ، ولم تتعد هذه الحملات كونها مجرد حملات استطلاعية لاستكشاف المنطقة ودراسة جغرافيتها تمهيداً لإعادة فتحها فتحاً منظماً في مراحل لاحقة ، ولقادة المسلمين كامل الحق في هذا الأمر إذ أن معلوماتهم عن هذه المناطق تعتبر شبه معدومة لتنائي أطرافها وطبيعتها الجبلية الوعرة ، وصعوبة تأقلم المسلمين مع مناخها القارص البرودة ، وهذه أسباب تشكل عائقاً أمام استقرار ومرابطة القوات الإسلامية على الأقل في هذه المرحلة المبكرة .

(ب) عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣ – ٣٥ هـ / ٦٤٤ – ٦٥٦ م)

وفي عهد عثمان بن عفان (٢٣ – ٣٥هـ / ٦٤٤ – ٦٥٦م) حدث تغير كبير في الخريطة السياسية والعسكرية للدولة الإسلامية ، طال هذا التغيير مناطق القوقاز ، إذ تم تعيين الوليد بن عقبة بن أبي معيط

(١) والياً على الكوفة ، واستناب بدوره على القوقاز الأشعث بن قيس الكندي (٢) .

---

(١) الوليد بن عقبة : أخو عثمان بن عفان لأمه اسلم يوم فتح مكة ، تولي لأبي بكر صدقات بني المصطلق وكتابه الرسائل الحربية ، ولعمر صدقات تغلب وقيادة بعض الفرق العسكرية . وللمزيد انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ٦ ، ص ٢٤ ؛ ابن نباته ، سرح العيون ، تحقيق محمد أبو الفضل ، ط بيروت ، ص ٢٤٩ ؛ ابن عبد ربه ، تاريخ الخلفاء ، ط بيروت ، ص ١٠٨ ، البلخي ، مناقب الإمام على والحسن والحسين ، ط الهند ، ١٢٩٠ هـ ، ص ٣٣ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية ، ط القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ٢٧٧ .

(٢) الأشعث بن قيس : أسلم سنه ١٠هـ / ٦٣١م ، وكان ممن ارتد ، ثم عاد إلي الإسلام ، شهد اليرموك والقادسية ، وجلولاء ونهاوند ، للمزيد انظر : ابن سعد ، المصدر السابق ، جـ٦ ، ص ٢٢ ؛ الديار بكري ، تاريخ الخميس ، جـ٢ ، ط بيروت ، ١٩٨٤م ، ص ٢٨٩ ؛ ابن سلام ، الأموال ،

وفي مستهل عهد عثمان بن عفان وفي ٢٤ – ٢٥ هـ / ٦٤٥ م اضطرت الخلافة الإسلامية التعامل بحزم مع مناطق القوقاز بعدما تكررت حالات الثورة والعصيان علي طاعة الدولة الإسلامية ، فزحفت قوات المسلمين على جنوب القوقاز وتحديدا إلي أرمينية ، حيث عبرت نهر الرس ناقلين الحرب إلي قلب أرمينية بقيادة سلمان بن ربيعة الباهلي ، الذي انتقل إليها بقواته من أذربيجان ، وكان عدد هذه الحملة كبيرا يعكس مدي اهتمام الدولة الإسلامية بالإقليم فبلغ عدد الجيش اثني عشر ألفاً من المقاتلة ، [٢] وسار في أرمينية وخاض عدة معارك مع سكانها خرج منها منتصراً ، [٣] ثم لم يلبث أن عاد إلي الكوفة بعد أن حقق مبتغاه وهو إخماد ثورة الأرمن .

ودليلا علي أن السياسة المتبعة مع سكان القوقاز لم تكن المثلي ، فلم يلبث الأرمن أن ثاروا علي الدولة الإسلامية رافعين راية العصيان في عدد من مدن أرمينية بعد عودة القوات الإسلامية إلي أردبيل ، وظهر جليا دور بيزنطة المحرض والمدعم علي ذلك العصيان ، فاضطر الخليفة عثمان بن عفان أن يرسل إلي معاوية بن أبي سفيان عامله على الشام أن يرسل حبيب بن مسلمة في جمع من أهل الشام غازياً إلي

تحقيق محمد خليل ، ط القاهرة ، ١٩٧٥ م ، ص ٧٠ ؛ ابن عزم ، دستور الإعلام بمعارف الأعلام ، جـ١ ، مخطوط بمكتبة الإسكندرية برقم ١٩٤٢ / ب تاريخ ، ورقة ٤ .

[٢] الطبري : المرجع السابق – جـ٤ – ص ٢٤٦ ؛ البلاذري : فتوح البلدان – ص ١٣٨ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية – القاهرة – مؤسسة الثقافة – ص ٢٤٣ ؛ فايز نجيب اسكندر : أرمينية بين البيزنطيين – ص ١٨ .

[٣] الطبري : المصدر السابق – جـ٤ – ص ٢٤٦ ؛ البلاذري : فتوح البلادان – ص ١٣٨ ؛ فايز نجيب : أرمينية بين البيزنطيين – ص ١٨ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية – ص ٢٤٣ .

أرمينية [١] فأتي حبيب أرمينية وبدأ بمدينة قاليقلا [٢] حيث حاصرها وضيق عليها الخناق فطلب أهلها الصلح على الجزية والأمان أو الجلاء ، وجلا كثير منهم من المدينة ولحقوا ببلاد بيزنطة ، وأقام حبيب في هذه المدينة أشهراً [٣] .

وكان عقبه بن أبي معيط قد تفل في وجه رسول الله صلي الله عليه وسلم . عنه انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء – جـ٣ – ص ٤١٢ ؛ القرشي : معالم القربة – كمبردج – مطبعة الصفوة ١٩٣٧م – ص ٣٤ ؛ الأندلسي : أخبار الخلفاء – جـ١ – القاهرة – المطبعة الأزهرية – ص ٤٠ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف – جـ٥ – ص ٢٩ ؛ الدينوري :– المعارف – ص ١٣٩ ؛ العربي : العواصم من القواصم – الرياض – المطبعة السلفية – ص ٨٥ ؛ البلخي : مناقب الإمام على – ص ٣٣ ؛ البغدادي : المحُبر – حيدرأباد :– دار المعرفة – ص ١٢٦ ؛ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم – جـ٤ – القاهرة – مطبعة مصر – ص ٢٠٩ ؛ ابن هشام : السيرة النبوية – جـ١ – تحقيق محمد فهمي – القاهرة – المكتبة التوفيقية – ص ٢٣٣ ؛ الدينوري :– الإمامة والسياسة – جـ١ – ٣٠ ؛ ترتون : أهل الذمة في الإسلام – ص ٣٨ .

الحطيئة : الشاعر هو جرول أويس بن مالك العبسي ، والحطيئة هو لقب لقربه من الأرض وقصره ، وقيل أنه حزن يوماً فسئل عن هذا فقال إنما أحطأت حطيئة ، وكان أكبر الشعراء المخضرمين والغالب على شعره الهجاء ، ووصف بأنه دنئ النفس مملاقاً ، قدم المدينة أيام عمر بن الخطاب الذي جلده لهجائه الزبرقان . عن الحطيئة انظر : الإبشيهي :– المستطرف في كل فن مستظرف – جـ١ – بيروت – دار الكتب العلمية – ص ٦٨ ؛ الكتبي : فوات الوفيات – جـ١ – القاهرة – مطبعة السعادة – ص ١٩٢ ؛ ابن نباته : سرح العيون – بدون بيانات – ص ١٥٥ ؛ المبرد :– الكامل في الأدب – القاهرة – مكتبة القدس – ص ٩١ ؛ ابن السكيت :– ديوان الحطيئة – تحقيق نعمان طه – الطبعة الأولي – القاهرة – مكتبة خانجي – ص ٣ .

[١] البلاذري : فتوح البلدان – ص ٣٠٢ ؛ فايز اسكندر : غزو الإمبراطورية البيزنطية الأرمينية – ص ٦ ؛ لي استارجيان : تاريخ الأمة الأرمينية – ص ١٦٤ .

[٢] قاليقلا : وهي مدينة كبيرة بأرمينية وكانت بنتها ملكة تدعي قالي ، وقاليقلا تعني إحسان قالي ثم عربت قاليقلا عنها . انظر :– الحموى : معجم البلدان – جـ٧ – ص ١٧ ؛ اليعقوبي – جـ١ – ص ١٧٨ ؛ أمين واصف : الفهرست معجم الخريطة التاريخية – ص ٥٢ .

[٣] البلاذري : فتوح البلدان – ص ٣٠٢ ؛ فايز نجيب :– الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج – ص ٤٤ ؛ مروان المدور : الأرمن عبر التاريخ – ص ١٩٩ .

ثم انتقل حبيب بن مسلمة إلي أخلاط [1] ثم إلي مدينة تفليس ، وافتتح عدة حصون إلي جوارها ، وعقد لهم صلحاً نص على :

١- أن يعطوا الأمان على أنفسهم وملتهم وشرائعهم وأموالهم .

٢- الاعتراف بالسيادة الإسلامية على تفليس .

٣- فرض الجزية على كل بيت دينار ، على أن لا يجمع أهل تفليس ما بين البيوتات استقلالا للجزية ولا يفرق المسلمون بينها استكثاراً لها .

٤- أن يقدم أهل تفليس والمناطق المجاورة لها يد المساعدة للمسلمين في حروبهم ضد أعدائهم .

٥- عليهم إرشاد ودلالة المسلم الضال وقريه يوماً وليلة وإطعامه من طعام أهل الكتاب .

٦- إذا غلب المسلمون ولم يستطيعوا الدفاع عنهم توضع الجزية [2] .

وكان علي الدولة الإسلامية أن تجني ثمار سياستها الخاطئة في جنوب القوقاز ، فعدم وجود فعلي وقوي للمسلمين في هذه المنطقة دفع الخزر وبيزنطة أن يدلوا بدلوهما في إذكاء روح العصيان والثورة في القوقاز ، فقد أضطرت الظروف حبيب بن مسلمة أن يتوجه علي وجه السرعة إلي بحيرة أرجيش ، [3] حيث كانت قد تجمعت جيوش بيزنطة

---

(١) أخلاط . وهي إحدى مدن أرمينية تقع بالقرب من بحيرة وان (أرجيش) وبينها وبين قاليقلا . انظر : الكرماني :- أخبار الدول – ص ٤٤٨ ؛ الحموي : معجم – جـ٧ – ص ١٧ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان – ص ٢٠٤ ؛ الحيدرابادى : المرجع السابق – جـ٤ – ص ٢٦٠ ؛ لي استاجيان : تاريخ الأمة الأرمينية – ص ١٦٤ ؛ مروان المدور : المرجع السابق – ص ١٩٩ ؛ اسكندر :- الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج – ص ٤٤ .

Issavardin. Op. cit . P. 189 .

(٣) بحيرة أرجيش : وتعرف أيضاً ببحيرة الطريخ نسبة إلي سمك الطريخ الذي يستخرج منها بكثرة حتى يكاد يمسك بالأيدي في موسمه ، وهذه البحيرة تقع جنوب الإقليم في أرمينية ويحيط بها عدد من المدن المشهورة – النويري : نهاية الأرب – جـ١ – ص ٢٥٠ ؛ الحموي – معجم البلدان – جـ١ – ص ١٨٨ ؛ أبو الفداء :- تقويم البلدان – ص ٣٩١ ؛ البغدادي : مراصد الإطلاع – جـ١ – ص ٢١ .

تساندها جيوش من الخزر [٤] وبعد كر وفر ومعارك متوالية استطاع حبيب بن مسلمة وجيشه أن يوقع الهزيمة النكراء بهذه الجموع [٥] وكان علي الدولة الإسلامية أن تؤمن وجودها في جنوب القوقاز بإجراء عملية مسح شاملة لمناطق جبال القوقاز فأرسل حبيب بن مسلمة إلي أرجيش عدة حملات وإلي المناطق المجاورة لها ، ودان له أمراء أخلاط ، وسلمت له مدينة أرجيش ، ودانت له جميع المدن التي تقع على بحيرة أرجيش [٦]

وما كاد حبيب ينتهي من مناطق جبال القوقاز حتي علم بأن مدينة دبيل . عاصمة أرمينية . قد شقت عصا الطاعة وساندتها بيزنطة بالمال والعتاد ، فجرد إليها حملة عسكرية كبيرة علي وجه السرعة ، وعلي مايبدو أن البيزنطيين قد تخلوا عن الأرمن في الوقت الحرج ، مما جعلهم يسارعون في طلب التصالح مع المسلمين ، فحينما علم بطريقها [٧] بقدوم هذه الحملة أسرع إلي حبيب بن مسلمة خوفاً على نفسه وبلاده – مذعناً بالطاعة طالبا الصلح فعقد له حبيب صلحاً نص على :

١– يمنح أهل دبيل الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم .

---

(٤) الخزر : أمه تركية تعتبر أكثر حضارة من الأمم التركية التي قامت في العصور الوسطى ، وتقع دولة الخزر في إقليم يقع بين الحوض الأدنى لنهر الفولجا شمال جبال القوقاز وبحر أزوف ، وكانت عاصمة الخزر هي إتيل أو البلنجر في دلتا نهر الفولجا ، وبدأ هؤلاء الخزر يهددون إقليم الرحاب وبيزنطة وفارس منذ مطلع القرن السابع الميلادي ، وكثيراً ما كان يحدث التقارب بين الخزر وبيزنطة مع وجود متغيرات الأحداث ، والصراع مع الدولة الإسلامية ، وكثيراً ما كان يتحالف الخزر مع بيزنطة ضد الدولة الإسلامية – انظر ابن نباته : سرح العيون – ص ٤٠ ؛ اليافعي : مراة الجنان – ص ٨٢ ؛ البغدادي : تاريخ بغداد – جـ٢ – ص ٢٢ .

(٥) البلاذري : فتوح البلدان – ص ٢٠٤ ؛ ابن أعثم : الفتوح – جـ٢ – ص ١١٦ ؛ الحيدرابادي : المرجع السابق – جـ٤ – ص ٢٦٠ ؛ عبد الوهاب النجار : تاريخ الإسلام – ص ٢٧٤ .

(٦) البلاذري : فتوح البلدان – ص ٢٠٤ ؛ ابن أعثم : المصدر السابق – جـ٢ – ص ١٦ ؛ مروان المدور : المرجع السابق – ص ١٩٩ ؛ عبد الوهاب النجار : المرجع السابق – ص ٢٧٤ .

(٧) البطريق : وهو القائد من قواد الجيش ويكون تحت أمرته عشرة آلاف مقاتل :– الخوارزمي :– مفاتح العلوم – ص ٧٨ .

٢- يسمح لهم بحرية العبادة .

٣- تفرض عليهم الجزية مقابل ذلك [١] .

وبعد استقرار الأوضاع في دبيل انتقل حبيب إلي مدينة النشوي ، [٢] وعقد لهم صلحاً مثل صلح دبيل [٣]

ثم إن حبيب عرج شمالا باتجاه شمال القوقاز ، من أجل إحكام السيطرة الإسلامية علي تلك المناطق ، وعلي مايبدو أن سكان تلك المناطق قد شعروا بمدي قوة الدولة الإسلامية وخشوا بأسها فسارعوا إلي تقديم فروض الولاء والطاعة فقدم علي حبيببن مسلمة قائد البسفرجان ، [٤] فصالحه على جميع بلاده على قدر من المال [٥] يؤدويه سنوياً ، [٦] ثم انتقل حبيب نحو الشيشجان الذين طلبوا الصلح على مال يؤدونه ، ثم انتقل إلي جرزان [٧] حيث كان جموع القوقازيين قد وقفت علي أهبة الإستعداد لأخذ القوات الإسلامية علي حين غرة ، فعند منطقة ذات اللجم [٨] مالت القوات الإسلامية

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان – ص ٢٠٤ ؛ ابن أعثم : الفتوح – جـ٢ – ص ١١٦ ؛ الحيدرابادي : المرجع السابق – جـ٤ – ص ٢٦٠ ؛ عبد الوهاب النجار : تاريخ الإسلام – ص ٢٧٤ .

(٢) النشوي : مدينة بأذربيجان وتسمي أيضاً نفجوان كانت قد بناها كسري أنوشروان انظر : ابن حوقل : صورة الأرض – جـ٢ – ص ٣٤٢ ؛ المؤيد : تقويم البلدان – ص ٣٨٧ ؛ ابن الفقيه :- مختصر البلدان – ص ٢٨٨ .

(٣) البلاذري : فتوح – ص ٢٠٣ ؛ ابن الأثير :- الكامل – جـ٢ – ص ٤٧٧ .

(٤) البسفرجان هي منطقة كبيرة وعاصمتها هي النشوي . الحموي : - معجم – جـ١ – ص ٢٠٤ ؛ البغدادي : مراصد الإطلاع – جـ١ – ص ٧٣ ؛ ابن الفقيه : المصدر السابق – ص ٢٨٨ .

(٥) لم تذكر المصادر سواء العربية أو الأجنبية قيمة هذه الأموال أو الجزية التي فرضت على أهل البسفرجان .

(٦) البلاذري : فتوح البلادان – ص ٢٠٤ ؛ ابن الأثير : الكامل – جـ٢ – ص ٤٧٧ – ٤٧٨ ؛ دحلان : المرجع السابق – جـ١ – ص ١١٩ .

(٧) جرزان : منطقة واسعة في الإقليم عاصمتها تفليس وكان فتحها على يد حبيب – انظر . الحموي :- معجم – جـ٣ – ص ٨٣ ؛ معجم ما استعجم – جـ٢ – ص ٣٧٦ .

(٨) ذات اللجم سميت هذه المنطقة بهذا الاسم نسبة إلي الأحداث التي وقعت في هذه المعركة . البلاذري : فتوح البلدان – ص ٢٠٤ .

غإلي الدعة والراحة وسرح الجيش بعض خيوله ودوابه وجمعوا لجامها ، فخرج عليهم أهل القوقاز ففجاوهم وأخذوهم على غرة وأخذوا تلك اللجم وحملوا معهم ما قدروا عليه من الغنائم والأسلاب والدواب ، غير أن المسلمين جمعوا شتات أمرهم وكروا عليهم واستردوا ما أخذواه منهم ، وأوقعوا بهم الهزيمة ، ومنذ ذلك الوقت ويسمي هذا الموضع ذات اللجم (٩) .

وعلي ما يبدو أن القوقازيين قد ندموا علي ماكان منهم ، فأسرعوا إلي تقديم فروض الولاء والطاعة للمسلمين فقد جاء بطريق جرزان وجوه أهلها إلي حبيب بن مسلمة يسألونه الصلح (١٠) فكتب لهم عقد أمان وصلح نص على :

١- أن يمنحوا الأمان على أموالهم وكنائسهم وأنفسهم وشرائعهم .

٢- أن يدفعوا الجزية ديناراً على الفرد البالغ العاقل القادر .

٣- أرسل معهم أحد الفقهاء لكي يعلمهم شرائع الإسلام (١١)

وإذا كان حبيب بن مسلمة قد فرض السيطرة الإسلامية علي مناطق شمال القوقاز فإن جنوب القوقاز وتحديدا أرمينية قد عادت من جديد إلي الثورة وخلع الطاعة الإسلامية ، وللحقيقه أنه لم يكن للأرمن أن تتكرر ثوراتهم علي هذا النحو وفي فترات متقاربة لولا المساعدة التي كانت تتلقاها دائما من الخزر وبيزنطة ، ففي الوقت الذي كانت القوات الإسلامية تحكم سيطرتها علي مناطق القوقاز الشمالية إذا بالأخبار تأتي إلي حبيب

---

(٩) البلاذري : نفس المصدر – ص ٢٠٤ ؛ الطبري :- المصدر السابق – جـ٤ – ص ٢٦٣ ؛ دحلان : المرجع السابق جـ١ – ص ١١٩.

(١٠) الطبري : المصدر السابق – جـ٤ – ص ٢٦٣ ؛ الخضري : المرجع السابق – جـ١ – ص ٣٦٩ دحلان : المرجع السابق – جـ١ – ص ١١٩ .

Hitti :- Ahistory of Arab. P. 176 .

(١١) الديار بكري : تاريخ الخميس – جـ١ – ص ٢٥٥ ، الطبري : المصدر السابق – جـ٤ – ص ٨١ ؛ اليافعي : مرآة الجنان – جـ١ – ص ٨٢ ؛ تاريخ طائفة الأرمن – ص ١٦٦ .
الحموي : معجم البلدان – جـ٢ – ص ١٢٤ ؛ الحيدر ابادي : المرجع السابق – جـ٤ – ص ٢٥٨ – ٢٥٩ ؛ دار المعارف الإسلامية – جـ٢ – ص ٦٤٤.

بأن بطريق أرمينية قد جمع جموعا كثيرة من الأرمن وحلفائهم الخزر وسكان القوقاز وجيش بيزنطي مكون من ثمانين ألفا من الجنود ،وأن هذه القوات تتحفز لمناجزة المسلمين [١]

وفي بداية الأمر قدر حبيب أن القوات الإسلامية في قلة وأن حشود الأرمن وحلفائهم تفوقه عددا وعدة فقرر أن يكتب إلي عثمان بن عفان وأن يستمده بجيش آخر لمواجهة هذه الحشود الكبيرة ، فأرسل عثمان بن عفان إلي الوليد بن عقبة بن أبي معيط والي الكوفة أن ينتخب من أهل الكوفة عشرة آلاف فارس ويبعث بهم إلي حبيب بن مسلمة وأن يجعل عليهم سلمان بن ربيعة الباهلي معونة لأهل الشام على عدوهم ، وما أن ورد كتاب عثمان إلي الوليد إلا وقام في الناس خطيبا وحثهم على الجهاد في سبيل الله وأن يشخصوا تحت إمرة سلمان بن ربيعة الباهلي ، فخرج سلمان بمن معه إلي حبيب بن مسلمة [٢]

، وعلي مايبدو أن حبيب بن مسلمة وجد في جيش الأرمن نقطة ضعف فأراد أن يستغلها فشن هجوماً مباغتا على هؤلاء المتجمعين من الأرمن والخزر والبيزنطيين وأهل القوقاز ، وأخذهم علي حين غرة ، وأوقع بينهم الهرج والمرج ، وركبوا أكتافهم ، واستطاع ومن معه أن يوقع بهم الهزيمة النكراء ، واقتسموا الغنائم فيما بينهم (٣)

فلما أتي سلمان بمن معه من أهل العراق وجدوا أهل الشام قد فراغوا من المعركة وقسموا الغنائم بينهم ، فطالب سلمان أن يشتركوا معهم في الغنائم فرفض حبيب وأهل

---

[١] ابن الشحنة : تاريخ حلب – ص ١٩٨ ؛ عطية الله : حوليات الإسلام – ص ٣٤ ؛ النجار : المرجع السابق – ص ٢٧٥ .

[٢] ابن أعثم : الفتوح – جـ١ – ص ١٢٢ ؛ البلاذري : فتوح البلدان – ص ١٤٨ – ١٤٩ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان – جـ١ – ص ٣٩٧ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي – جـ٢ – القاهرة – المطبعة الحجازية – ص ٧٧ .

[٣] الواقدي : فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان – ص ١٤١ ؛ ابن الدم الحموي : التاريخ الإسلامي – الجزء الأول – تحقيق حامد زيان – القاهرة – دار الثقافة للطباعة – ص ١٥٧ ؛ أحمد عطية الله : المرجع السابق – ص ٢٨ .

الشام فوقع الكلام بينهم [٤] فأرسل حبيب إلي عثمان يستشيره فأشار عليه باقتسام الغنائم بينهم وبين أهل العراق [٥] .

وقد نجحت هذه الحملة نجاحاً كبيراً وتحققت منها مكاسب كثيرة ، أهمها أن القوقاز الجنوبي قد نالت استقراراً كبيراً تجلي ذلك في قيام الأشعث بن قيس بعمل له أهميته الكبيرة ، حيث ذكر البلاذري (١) أنه قام بإسكان مدينة أردبيل أناساً من العرب المسلمين وأمرهم بدعوة الناس للإسلام .

وهذا العمل له أهميته من الوجهة السياسية والعسكرية ، إذ أن استيطان العرب القوقاز الجنوبي يعني تأمين المكاسب السياسية للدولة الإسلامية ضد محاولات التمرد من سكان المدينة والمناطق المجاورة لها ، ومما لا شك فيه أن هؤلاء السكان الجدد – في حالات الطوارئ – سيكونون مستودعاً لمد الجيوش الإسلامية بما يحتاجونه من جنود .

ومن الوجهة العقدية يكتسب أهميته من أن الهدف الأساسي هو دعوة الناس للإسلام عن طريق الاتصال المباشر والمعاينة المنفتحة .

وتعتبر هذه الخطوة تغييراً في مجري العلاقات بين الدولة الإسلامية وبين سكان القوقاز لأن الدولة الإسلامية لم تعد تخاطب القوقاز من خلال ممثل سياسي لها قد يكون من مصلحته حجب الرغبة الحقيقية لسكانها عن الدولة الإسلامية ، بل عمدت إلي الاتصال المباشر بالسكان لا على المستوي السياسي أو الرسمي بل عن طريق القاعدة العريضة وأغلبية الناس .

---

[٤] ابن أعثم : المصدر السابق – جـ٢ – ص ١٢٢ ؛ البلاذري : فتوح البلدان – ص ١٤٨ – ١٤٩ ؛ الحموي : معجم البلدان – جـ١ – ص ٣٩٧ ؛ ابن الدم : تاريخ الإسلام – جـ١ – ص ١٥٧ .

[٥] انظر : البلاذري : فتوح البلدان – ص ٤٨ – ١٤٩ ؛ ابن أعثم الكوفي : الفتوح – جـ٢ – ص ١٢٢ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان – جـ٢ – ص ٣٩٧ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي – جـ١ – ص ٢٧٧ .

(١) فتوح البلدان ، ص ٣٢٤ .

ومما لا شك فيه أن وجود المسلمين في بلاد القوقاز ومخالطتهم لأهلها أدي لزيادة اعتناق أهل القوقاز للإسلام وذلك لما لمسوه في المسلمين من سماحة وحسن معاشرة وبر وعدل ، حيث لم يكن فتح المسلمين لهذه البلاد مجرد فتوحات عسكرية لاستغلال الشعوب علي طريقة الإستعمار الأوربي في العصر الحديث ، إنما كان فتحا دينيا لغويا وثقافيا .

ومن الجدير بالذكر أن انتقاضات أهل القوقاز لا ترجع إلي ظلم وقع عليهم من المسلمين ولكنه الشعور القومي الذي كان لديهم في ذلك الوقت قويا غلابا ، وربما كان عند الكثير منهم فوق المنافع والمصالح ، ولا يغيب عن بالنا أن أمة عريقة الحضارة والمجد كأمة الفرس لن تذعن منذ باديء الأمر لسلطان الأجانب عنها ، وقد احتاط المسلمون لكل انتفاضة يمكن أن تقوم بها طائفة من أبناء القوقاز وأقاموا المسالح في شتي أرجائها لإدراك المسلمين أن الشعور بالكرامة أقوي أثرا في النفوس من كل شعور ، ولن تستطيع كبحه إلا قوة تضطر الثائر لمهانة نزلت به أن يختار بين كرامته وحياته وتجعل الشعور بالكرامة وغريزة الحياة يقفان وجها لوجه ....ولقد كان لهذه الوقفة أثر بعيد في حياة الشعب القوقازي أدت به أن يدين بالدين الإسلامي ، ومع هذا كان الشعور القومي باعثا علي الثورات والانتفاضات خصوصا في فترات الضعف وعدم الاستقرار التي مرت بها الدولة الإسلامية . (١)

ومن مظاهر نجاح هذه الحملة ونتائج الاستقرار الذي تعيشه القوقاز أن بدأ الأشعث بن قيس يسير الحملات لمناجزة المدن القريبة من جنوب القوقاز ، إذ خرج سلمان بن ربيعة إلي مدينة

١) محمد علي عتاقي ، المسلمون في أذربيجان ومناطق الجبال ، ص ٦٧ – ٦٨

البيلقان [٢] واستولي عليها وفرض عليها الإقرار بصغار الجزية ، ثم واصل سيره نحو مدينة برذغة [٣] وخاض على أبوابها معركة حامية بعد أن استعصت عليه فضرب عليها الحصار إلي أن اضطرها إلي الإقرار بالجزية السنوية ، ثم انتقل إلي القلاع والحصون الواقعة في جبال

القوقاز [١] وألزمهم الدخول في طاعة الدولة الإسلامية وأعاد فرض الجزية على هذه المناطق ، ومن ثم عاد سلمان إلي أذربيجان بجيشه بعد تحقيق هدفه [٢] .

وبالرغم من أن المصادر لم تذكر لنا سبب القيام بهذه الحملة على مناطق الجبال ، ولكن من المرجح أن هذه الحملة جاءت نتيجة إما نشاط عسكري لهذه المناطق يناوئ

---

(٢) البيلقان : تقع إلي الشمال من أذربيجان وهي من بناء بيلقان بن أرمني بن لنطي ، وأعيد بناؤها في عهد الملك الفارس قباذ ، عن ذلك انظر : الحموي ، معجم البلدان ، مجـ١ ، ص ٤١٩ ، لي استرنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٢ .

(٣) برذغة : إلي الشمال من أذربيجان وكانت قديما تدعي برده دار ، وهي من بناء الملك الفارسي قباذ ، عن ذلك انظر : الحموي ، معجم البلدان ، مجـ١ ، ص ٣٠٠ – ٣٠٢ ؛ البغدادي ، مراصد الإطلاع ، جـ١ ، ص ١٨٢ .

(١) دأب الجغرافيون والمؤرخون العرب الأوائل على تسمية مجموعة الحصون والقلاع الواقعة في جبال القوقاز على أنها مدن وتسمية حكماها بالملوك ، مع أنها حصون أو قلاع صغيرة أمثال قلعة الشابران واللكز وفيلان وطبرسران ، وشروان وشهبوش ، عن ذلك انظر : اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ط بيروت ، ١٩٨٠ م، ص ١٦٨ ؛ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٨٦ ؛ ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، جـ٢ ، ص ٣٤٤ – ٣٤٥ ؛ الحموي ، معجم البلدان ، مجـ١ ، ص ١٩٧ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ١٦٨ ، ابن أعثم الكوفي ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ ؛ عبد الباسط فاخوري ، تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام ، ط بيروت ، ص ٤١ .

الحكم الإسلامي أو أنها قد نقضت عهودها السابقة مع الدولة الإسلامية ، وهذا هو الأرجح ، لأن هذه المناطق كانت أقرت سابقاً بالحكم الإسلامي لها مقابل الجزية السنوية وأن هذه المناطق اسمياً تعتبر خاضعة للدولة الإسلامية ولكن رسمياً وعسكرياً هي خارج نطاق هذه السيطرة لأن حكم المسلمين لها لم يكن مباشراً و دائماً ما يرتضون منهم دفع الجزية السنوية وهذا الوضع سوف يؤثر على المسلمين لاحقاً .

◆موقعة بلنجر :

بعد هذه الانتصارات المتلاحقة التي حققها المسلمون مع خصومهم على الجبهة العسكرية سواء مع الخزر أو سكان القوقاز أو الأرمن أو تحالفهم جميعاً ، بدأ المسلمون يفكرون جدياً في إحياء فكرة غزو بلاد الخزر والتي كانت قد تعطلت لوفاة عمر بن الخطاب ، ففي سنة ٣٢هـ / ٦٥٢م فصدرت الأوامر لصاحب الفكرة عبد الرحمن بن ربيعة بغزو بلاد الخزر ، فتقدم بالجيش وعبر جبال القوقاز إلي مدينة باب الأبواب ، وعلى الجبهة الأخرى حيث استعد الخزر لهذه الموقعة أتم استعداد ، وما أن وصل عبد الرحمن مدينة البلنجر وجد نفسه أمام جموع هائلة لا قبل له بها واستعداداً حربياً يفوقه عدداً وعدة ، ومع ذلك التحم معهم في معركة فاصلة تمخضت عن هزيمة جيش الخلافة ومقتل عدد كبير من المسلمين [١] وفرار قلة قليلة منهم إلي مدن شمال القوقاز وجيلان وجرجان بل ومقتل قائد الجيش عبد الرحمن بن ربيعة [٢].

---

(١) اشترك في هذه الحملة عدد كبير من الصحابة والصالحين أمثال سلمان الفارسي وأبو هريرة ويزيد بن معاوية النخعي ، ومعضد الشيباني وعمرو بن عتبة ، وأظهر هؤلاء الصحابة في المعركة دروباً من الشجاعة والإقدام ، واستشهد عدد كبير منهم في هذه المعركة ودفن بعضهم بالقرب من مدينة البلنجر . عن تفاصيل ذلك انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص ٦٢٧ – ٦٢٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص ١٣١ – ١٣٣ ، محمد رشيد ، الفاروق عمر ، ص ٣١٢ .

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٦٢٧ – ٦٢٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص ١٣١ – ١٣٣ ؛ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ص ٢٧٧ .

وبقراءة سريعة في خلفية وأسباب هزيمة البلنجر نذكر أن الطبري [٣] وابن الأثير [٤] قد ذكرا لنا سبباً للهزيمة في هذه الموقعة ، وتمثل في تبدل أحوال الناس في عهد عثمان بن عفان بما أصابهم من البطر ولاستعماله من كان قد ارتد – يقصد الأشعث بن قيس – استصلاحاً لهم فلم يصلحهم ذلك ، ولكن هناك عوامل وأسباب أخرى نري أنها كانت وراء هذه الهزيمة فكانت حملات المسلمين الأولي قبيل عهد عثمان بن عفان بمثابة حملات استطلاعية لمعرفة طبيعة وجغرافيا المنطقة وليس فتحاً منظماً ، الهدف منه إخضاع المنطقة خضوعاً كاملاً ، وإن كانوا يرتضون من حكام هذه المناطق – خاصة الخزر والقوقاز – بالجزية ويتركون حكم تلك المناطق لحكام محليين ، كما أن الجيوش الإسلامية كانت سرعان ما تعود إلي مراكزها الرئيسية سواء أكان في أذربيجان أو الكوفة ، وكان لقلة عدد جنود المسلمين في مواجهة خصومهم لا سيما في مواجهة جحافل الخزر دور ، إذ أن أعداد المسلمين دائماً ما كانت قليلة في مواجهة الخزر معتمدين في ذلك على شجاعتهم وحماستهم الدينية ، كما أن تنائي أطراف البلاد المفتوحة وبعدها عن مستودع القوة والإمداد كالكوفة والبصرة والشام ، أضف إلي ذلك ظهور نوع جديد من المقاومة تمثل في تحالف الخزر مع الأرمن والقوقاز وفي بعض الأحيان مع البيزنطيين ، ذلك بخلاف طبيعة المنطقة الجبلية والطقس القارص الذي لم يعتد عليه المسلمون ، وهناك سبب شخصي يعود إلي طبيعة عبد الرحمن بن ربيعة الذي تغلب عليه الحماسة أحياناً بحثاً عن نشر الإسلام انطلاقاً من ثوابت دينية وهذا ما جعله لا يأخذ بنصيحة شهربراز حاكم مدينة باب الأبواب من ذي قبل ، وعثمان بن عفان الذي حذره من الإقبال على هذه الخطوة لتغيير أحوال الناس وانتقالهم إلي التمتع

---

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص ٥٤٠ – ٥٤٣ .

(٤) الكامل في التاريخ ، جـ٣ ، ص ٢٩ – ٣٠ .

بالترف والملذات [1] ونري أن هذه العوامل كانت سبباً في وقوع مثل هذه الهزيمة وما يترتب على ذلك من حدوث حالة من الاختزال والانكماش في المد الإسلامي نحو بلاد القوقاز .

وحينما علم عثمان بذلك حزن حزناً شديداً على ما جري لجيش المسلمين ، واستشعر الخطر المحدق بالمسلمين في بلاد القوقاز فكتب إلي حبيب بن مسلمة يأمره بالمسير إلي بلاد الخزر ، فاجتمع إليه ستة آلاف جندي وسار بهم ، وكان الخزر قد استغلوا انتصارهم علي المسلمين وفرار فلولهم واستولوا على مدينة أخلاط ، فاتجه حبيب إليها ومن معه وأخرجهم منها واستولي عليها بعد حصار دام أياماً ؛ [1] وقتل من كان بها من الحامية الخزرية ، واستخلف عليها بعض قادته ثم انتقل منها [2] إلي جرزان شمال الإقليم ، واستعاد السيطرة عليها ، [3] ثم جدد عقد الصلح مع الأرمن على :

١- أن تعترف الدولة الإسلامية باستقلال أرمينية .

٢- أن يذعن سكان الإقليم للسيطرة الإسلامية عليهم بالشروط التي سبق فرضها على الفرس .

٣- أن يعين العرب حاكماً محلياً من الأرمن على أرمينية .

---

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٢ ، ص ٦٢٧ – ٦٢٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص ١٣١ – ١٣٣ ؛ دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ص ١٢٨ .

الواقدي : فتوح الإسلام لبلاد العجم – ص ١٤٣ ؛ ابن الأثير : الكامل – جـ٤ – ص ١٠ ؛ الحموي : معجم – جـ٢ – ص ١٢٣ .

[1] ابن أعثم : المصدر السابق – جـ٢ – ص ١١٢ – ١١٣ ؛ ابن خلدون : تاريخ – جـ٢ – ص ٥٨٥ ؛

Issavardin : Armenia. P. 189' Muir : the caliph at . P. 203 .

(٢) ابن أعثم : الفتوح – جـ٢ – ص ١١٢ – ١١٣ ؛ ابن العربي : العواصم – ص ٢٤٤ .

(٣) ابن أعثم : المصدر السابق – جـ٢ – ص ١١٣ ؛ الطبري : المصدر السابق – جـ٤ – ص ٢٩٢ ؛ خليفة بن خياط : المصدر السابق – ص ١٦٣ ؛ ابن الأثير : الكامل – جـ٣ – ص ٢٥ .

٤- تجهز أرمينية وحدة من فرسانها وتضعها تحت تصرف المسلمين لتحارب معهم ، وكانت وحدة الأرمن تتكون من ١٥ ألف مقاتل على ألا يذهبوا للقتال في الشام .

٥- أن يدفع الإقليم ثمانية آلاف درهم سنوياً [٤] .

وبعد نجاح حبيب بن مسلمة من فرض سيطرة المسلمين على القوقاز مرة ثانية ، عزله عثمان بن عفان عن الإقليم [١] وولي عليه الأشعث بن قيس [٢] .

---

(٤) البلاذري : فتوح البلدان – ص ١٣٨ ؛ الحموي : معجم البلدان – جـ٢ – ص ١٢ ؛ ابن الأثير : الكامل – جـ٣ – ص ٢٦ – ٢٧ ؛ سعيد بن طريق :- التاريخ المجموع – ص ٣٣ ؛ الطبري : المصدر السابق – جـ٤ – ص ٢٩٢ .

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ١١٤ ؛ ابن العربي : العواصم – ص ٢٤٤ ؛ خليفة بن خياط : المصدر السابق – ص ١٧٨ .

Hitti : Ahistory of Syria . P. 429 .
Hitti : Ahistory of Arab . P. 176 .

اليافعي : مرأة الجنان – جـ١ – ص ١٧٦ .

(٢) الأشعث بن قيس بن معد يكرب بن معاوية بن جبلة بن الحارث بن ربيعة بن معاوية بن الحارث ، وسمي الأشعث نظراً لشعث في رأسه ، ووفد الأشعث بن قيس على النبي ﷺ سنة عشرة للهجرة في وفد كندة وكانوا ستين رجلاً فأسلموا ورجعوا إلي اليمن ، وكان ممن ارتد بعد وفاة النبي ﷺ فبعث أبو بكر الجنود إلي اليمن لمحاربتهم فأسروه واحضروه بين يدي أبي بكر فأسلم أمامه ، وقال له الأشعث بن قيس :- استبقني لحربك وزوجني أختك فأطلق سراحه وزوجه أخته وهي أم محمد بن الأشعث ، وشهد اليرموك والقادسية وجلولاء ونهاوند وأبلي في هذه المعركة بلاءاً حسناً ، وجاهد في الله حق جهاده ، وشهد صفين مع على بن أبي طالب ، وشهد الحكمين يوم دومة الجندل ، وولي لعثمان عدة ولايات منها إقليم القوقاز . أرمينية وأذربيجان وأران . وكان الحسن ابن على رضي الله عنه قد تزوج ابنة الأشعث بن قيس ، وروي الأشعث بن قيس الكندي عن رسول الله ﷺ حديثين اتفق البخاري ومسلم على إحداهما ، ونزل الكوفة وأقام بها ومات بعد على بن أبي طالب بأربعين يوماً – عن الأشعث بن قيس انظر : السيوطي : الوسائل في معرفة الأوائل – ص ١٠٤ ؛ الأصفهاني : مقاتل الطالبين – تحقيق أحمد السيد صقر- القاهرة – مطبعة دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨م – ص ٣٣ ؛ البلخي : مناقب الإمام على والحسن والحسين – ص ١٠٣ – ١٠٤ ؛ الأمدي

وعادت أذربيجان مع بداية حكم الأشعث بن قيس إلي الانتفاض وإعلان الثورة على الدولة الإسلامية وساندها في ذلك الخزر غير أن سعيد بن العاص استطاع أن يوقع بهذه الجموع الهزيمة النكراء (٣) .

:- المؤتلف والمختلف – القاهرة – مطبعة القدس – ص ٤٥ ؛ العسقلاني : تهذيب التهذيب – الجزء الأول – الطبعة الأولي – حيدر أباد الدكن – مطبعة دار المعارف – ١٣٢٦ هـ – ص ٣٥٩ ؛ القرطبي : الأنباه على قبائل الرواة – ص ٦٦ ؛ النووي : تهذيب الأسماء – ص ١٦٠ ؛ الديار بكري : تاريخ الخميس – جـ٢ – ص ٢٨٩ ؛ البلخي : البدء والتاريخ – جـ٥ – ص ١٠٩ .

(٣) خليفة بن خياط : تاريخ . ص ١٦٣ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام – جـ٢ – ص ١٩٧ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب – الجزء الأول – بيروت – بدون بيانات – ص ٣٦ .

Muir : the caliphat. P. 203.

– سعيد بن العاص بن أمية ولد عام الهجرة ، وقيل بل سنة أحد ، وقتل أبوه العاص بن سعيد يوم بدر كافراً قتله على بن أبي طالب ، وكان أحد أشراف قريش ، جمع بين السخاء والفصاحة ، وهو أحد الذين كتب المصحف لعثمان ، واستعمله على الكوفة وغزا بالناس طبرستان فافتتحها ، ويقال أيضاً أنه افتتح جرجان في زمن عثمان سنة ٢٩هـ ، وقال أبو عبيدة : لما انتفضت أذربيجان غزاها سعيد بن العاص فافتتحها ثم عز له عثمان وولي الوليد بن عقبة ، ثم شكا الناس الوليد بن عقبة فقام بعزلة وولي سعيد بن العاص ، غير أن أهل الكوفة ردوه مرة ثانية ، وكان سعيد يتصف بشدة السلطان وكان ذلك في سنة ٣٤هـ ، ولما قتل عثمان لزم سعيد بيته واعتزل يوم الجمل وصفين ، ولما ولي معاوية واستوثق له الأمر ولاه المدينة ، ثم عزله وولاها مروان بن الحكم ، وكان يعاقب بينه وبين مروان ، وفيه يقول الفرزدق :-

ترى الجحاجح من قريش إذا ما الأمر في الحدثين علا .

قياماً ينظرون إلي سعيد كأنهم يرون به هلالا .

– وقال سفيان بن عيينه :- كان سعيد بن العاص كريماً وتوفى في خلافة معاوية سنة ٥٩هـ .

من أقوال سعيد المشهورة :- أن القلوب تتغير فلا ينبغي للمرء أن يكون مادحاً اليوم عائباً غدا ؛ لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدنئ فتهون عليه – موطنان الاعتذار من العيي فيهما إذا خاطبت جاهلاً أو طلبت حاجة لنفسي .

بن عبد البر : الاستيعاب – جـ٢ – ص ٩ ؛ العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة – جـ٢ – ص ٤٢ .

وفي عام ٢٩هـ – ٦٤٩م وعقد في دبيل مجمع ديني يهدف إلي إعادة أرمينية إلي حظيرة الكنائس البيزنطية ، [٣] ورفض الأرمن هذه المحاولة وتمسكوا بمذهبهم اليعقوبي المونوفستي [٤] مما أغضب الإمبراطور البيزنطي وعزل تيودور الرشتوني عن الإقليم – بالرغم من أنه عين من قبل العرب – وعين عليها سمباط البجراطي واشتركا معا في حملة على القوات الإسلامية ، غير أن معاوية بن أبي سفيان استطاع أن يوقع بهم الهزيمة النكراء ، وعقد الصلح بين معاوية والأرمن نص على :

١– عدم فرض الجزية على الأرمن مدة ثلاث سنوات .

٢– أن يقدم الأرمن ما يقدرون عليه للدولة الإسلامية من أموال خلال فترة الاتفاق .يجهز الأرمن قوة من الفرسان قوامها ١٥ ألف فارس يساعدون الدولة الإسلامية في حروبها على أن لا يذهبوا للقتال في الشام أو داخل الدولة الإسلامية .

٣– يعين على أرمينية وأران حاكماً محليا .

٤– لا يأوي الأرمن في بلادهم عدوا للمسلمين ولا يساعدوه .

٥– يتعهد المسلمون بمساعدة أهل الإقليم ضد أعدائهم لاسيما بيزنطة [٥] .

من صيغة هذا الاتفاق يبدو أن معاوية بن أبي سفيان أراد أن يستغل الشقاق بين أرمينية وبيزنطة ، بل يزيد من شقة الاختلاف بينهما ، فأعطي الإقليم تسهيلات كبيرة

---

[٣] تاريخ طائفة الأرمن – ص ١٦٥ ؛ مروان المدور : المرجع السابق – ص ١٩٨ ؛ صابر دياب : أرمينية – ص ٣٥ – ٣٦ ؛ الهامي : التوفيقات الإلهامية ص ١٧ .

[٤] فؤاد حسن حافظ : المرجع السابق – ص ٩٤ ؛ تاريخ طائفة الأرمن – ص ١٦٥ مروان المدور : المرجع السابق – ص ١٩٨ ؛ صابر محمد : المرجع السابق – ص ٣٥ – ٣٦ .

Issavardin : op. cit . P. 189 .

(٥) تاريخ الأرمن – ص ١٦٥ ، المدور : المرجع السابق – ص ١٩٨ ؛ فؤاد حسن حافظ : المرجع السابق – ص ٩٤ .

Issavardin : op. cit . P. 189 - 190.

من قبيل إعفائهم من دفع الجزية ثلاث سنوات ولا يعين عليهم حاكم مسلم بل محلي ، والأكثر من ذلك هو تعهد معاوية الدفاع عن الأرمن ضد بيزنطة مما يدل على مدي الخلاف بين أرمينية وبيزنطة ، وأسرع الأرمن إلي قبول هذا الصلح لما فيه من تنازلات لهم ولخوفهم من بيزنطة وعدم الاطمئنان لها ، وضماناً لجديتهم في تنفيذ الاتفاق وعدم نقضه كما كان عهدهم أرسلوا الأميران سمباط البجراطي وجريجور الأول ما ميكونيان كرهينتين إلي معاوية بن أبي سفيان وعين تيودرو الرشتوني حاكماً على أرمينية [٦] .

وأثار هذا الاتفاق حفيظة بيزنطة مما جعل الإمبراطور البيزنطي يجرد حملة عسكرية إلي الإقليم دون أن يأبه بتحذيرات معاوية بن أبي سفيان أن الإقليم إنما هو تحت الحكم العربي ، وأرسل جيشاً دخل دبيل واستولي عليها ، وعزل تيودر الرشتوني وولي عليها القائد موشيل ماميكونيان ، وهدد الأمراء الأرمن فاذعنوا له وأعلنوا الطاعة [١] عدا تيودور الرشتوني الذي ظل على ولائه للعرب وهرب إلي بحيرة وان وأيده في ذلك حكام أران والشيشجان والبلاشجان ، [٢] وظلوا على ولائهم للعرب واستطاعوا باتحادهم ومهارة تيودر الرشتوني من إعادة سيطرة العرب على الإقليم مرة ثانية بعد هزيمة الحامية البيزنطية عند أرزن [٣]

---

(٦) صابر محمد دياب : المرجع السابق – ص ٣٧ ؛
grousset : op. cit . P. 133- 134' Issavardin : op. cit . P. 188.

[١] ابن الدم الحموي : التاريخ الإسلامي – جـ١ – ص ١٦١ ؛ العريني : الدولة البيزنطية – ص ١٢٧ ؛ صابر دياب : المرجع السابق – ص ٣٥ .
grousset : op. cit . P134.

[٢] ابن الدم الحموي : المصدر السابق – جـ١ – ص ١٢٧ ؛ العريني : المرجع السابق – ص ١٢٧ ؛ صابر دياب : المرجع السابق – ص ٣٦ .
grousset : op. cit . P. 134

(٣) ابن الدم الحموي : التاريخ الإسلامي – جـ١ – ص ١٦١ ؛ العريني : الدولة البيزنطية – ص ١٢٧ ؛ إبراهيم العدوى : الأمويون والبيزنطيون – ص ١١٦ ؛ لي استارجيان : تاريخ الأمة الأرمينية